

الحجاب وهوية المرأة

<"xml encoding="UTF-8?>



التشريعات في الإسلام بمختلف موضوعاتها قائمة على قاعدة (المصالح والمفاسد) فما من شيء أحَلَّهُ الله تعالى إلا وفيه مصلحة وفائدة للإنسان، وما من شيء حرمه الله تعالى إلا وفيه مفسدة ومضر، وقد أثبت العلم الحديث صحة ذلك في الكثير من التشريعات الإسلامية التي توصل إليها من خلال التجربة والحس والتجاذب.

والحجاب للمرأة من التشريعات الإسلامية الثابتة، وهي فريضة من الفرائض التي يجب على المرأة المسلمة الالتزام بها، مهما تغير الزمان والمكان، بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّمُؤْمِنَاتٍ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّلِنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلِيُضْرِبَنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (١) أي يسترن رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن، وهو الأمر الذي كانت النساء في الجاهلية قبل الإسلام، يظهرن أمام الملايين، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرُّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٢) .

وقد أصبحت المرأة المعاصرة في بعض المجتمعات أكثر تبرجاً مما كانت عليه النساء في عهد الجاهلية، حيث يتتسابقن على إظهار ما يجب إخفاؤه، وهو الأمر الذي يجلب البلاء والنقمة والغضب الإلهي، كما أشارت لذلك الكثير من الروايات والأحاديث الشريفة.

والواجب الشرعي على كل امرأة أن تستر تمام بدنها ماعدا الوجه والكفافين، كما لا يجوز للمرأة أن تكشف عن زينتها الخفية وإن كان لا يظهر الجسم، بمعنى آخر لا يجوز للمرأة الكشف عن اللباس الذي تتزين به تحت لباسها العادي بنص القرآن الكريم ﴿وَلَا يُبَدِّلِنَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفاف فقط.

ولسنا بحاجة لإطالة الحديث حول وجوب الحجاب، فهو من ضروريات الدين، ومن الفرائض الواضحة لكل مسلم، فالواجب على كل امرأة هو ستر جسدها كاملاً ما عدا الوجه والكفافين وإن كان ذلك بالعباءة فهو أفضل وأحوط كما أفتى الفقهاء بذلك، لكن ما يجعل الحديث يتكرر حول حجاب المرأة هو الدعوات المتكررة من أصحاب (تحرير المرأة) من حجابها وعفتها وحشمتها، بدعوى أن الزمن قد تغير، وأن العصر الآن عصر انفتاح وتقدير، وأن الحجاب عائق أمام تقدم المرأة وتطورها!! وفي هذا القول من المغالطة ما لا يخفى، فالحجاب لم يكن في يوم من

الأيام عائقاً أمام قيام المرأة بكل واجباتها، بل ومشاركتها في بناء المجتمع وتقدمه، والإسلام الذي لا يمانع في أن تعمل المرأة في الأعمال المناسبة لها، وأن تشارك الرجل في مختلف الأنشطة والمناشط الدينية والاجتماعية والثقافية، يطلب منها أن تحافظ على حجابها وحشمتها وعفتها.

والمرأة المسلمة المعاصرة عليها أن تعتر بحجابها وتتغیر بهويتها الإسلامية، وأن ذلك عنوان طهارتها والتزامها بقيم وتعاليم دينها وثقافتها الإسلامية، ولأن الحجاب رمز الالتزام الديني؛ لذلك نجد كيف يحارب في بعض الدول، وتمتنع الفتاة المتحجبة من العمل والدراسة من أجل القضاء عليه، والانحراف في منظومة الثقافة الغربية المادية، وهذا يعني أن الحجاب ليس مجرد قماشة تضعها المرأة على جسدها وأرأسها، وإنما هو رمز لهوية المرأة المسلمة ودلالة على التزامها الديني.

وفي الوقت الذي نشيد فيه بمختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية التي تقوم بها اللجان والمؤسسات والجمعيات النسوية في مجتمعنا، والحركة النسوية الفاعل في مختلف الأبعاد، مما يدل على تنامي الحركة النسوية في المجتمع، نلفت النظر إلى وجوب الاهتمام بتنمية المرأة عقائدياً وثقافياً واجتماعياً وأخلاقياً، وتوظيف طاقات المرأة المسلمة في ما يخدم الدين والمجتمع، مع الحفاظ على قيم المرأة المسلمة وأخلاقياتها، وأهمها الحجاب الذي هو هوية المرأة المسلمة.

وإذ نرى في تغرب بعض بنات مجتمعنا للدراسة وتحصيل أرفع المستويات، ونيل أرقى التخصصات العلمية دليلاً وعي وطموح، فإننا نذكر بأهمية التمسك بالتعليمات والتوصيات الدينية التي تتحث على المحافظة على الحجاب، والالتزام بآداب وأخلاق الإسلام في تلك المجتمعات المنفتحة، وهنا يظهر مدى تمسك المرأة بدينها وأخلاقها وهويتها.

والمرأة الوعية لا تنخدع بالشعارات البراقة والتي تظهر المتبرجة وكأنها أكثر تحضراً ووعياً من المتحجبة، فالعبرة بتنمية العقل والفكر، واكتساب العلوم والمعارف، وليس بالتسابق في إظهار ما يجب إخفاؤه، أو التفاخر بالظهور بلباس مثير للفتنة والفساد، فالمسلم كما يجب أن يعمل لدنياه، عليه أن يفكر أكثر في آخرته، وأن المستقبل الحقيقي هو لمن يحضى برضاء الله سبحانه وتعالى عنه، والفوز بدخول الجنة، وذلك هو الفلاح الكبير **وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْصُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ^(٣).

١ - سورة النور، الآية: ٣١

٢ - سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

٣ - سورة آل عمران، الآية: ١٣٣